مقالات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ISI International Scientific Indexing, [8140].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.3].

قصبة موحى اوحمو الزياني
التاريخ، المعمار، وسبل التثمين

د. جواد التباعي
دكتوراه في التاريخ والتراث الجهوي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – سايس
فاس – المملكة المغربية

مُلَخّص

تُعَدّ قصبة موحى اوحمو الزياني واحدة من أهم المآثر العمرانية المصنفة تراثًا وطنيًا في المغرب منذ ١٩٣٣م بمدينة خنيفرة المغربية. ينسبها الجميع لمؤسس المدينة الحديثة موحى اوحمو الزياني، لكن الشواهد التاريخية تؤكد أن القصبة شيدت قبل هذا التاريخ بقرون عديدة. وتعود أولى الإشارات في هذا الصدد إلى أنها كانت قلعة عسكرية خلال عهد يوسف بن تاشفين المرابطي (٤٠٠ - ٥٠٠ هـ/ ١٠٠٩- ١١٠٦م)، وجددت كليًا خلال عهد المولى إسماعيل العلوي (١٠٨٢- ١٠٣٩هـ/ ١٦٧٢-١٧٢٧م). وبعد وفاته بقيت مهملة إلى أن سيطر حمو نعقى والد موحى اوحمو الزياني على القصبة منتصف القرن التاسع عشر، وأجرى عليها بعض الترميمات البسيطة. ويبقى أهم ترميم خضعت له القصبة في عهد موحى اوحمو الزياني (١٢٧٣ـ ١٣٣٩هـ/ ١٨٥٧ـ ١٩٢١م) الذي اتخذت اسمه جعلها قاعدة لحكم بلاد زيان. سنحاول في هذا المقال تتبع المسار الكرونولوجي لقصبة موحى اوحمو الزياني باعتماد منهج تاريخي يتتبع الإشارات والشواهد الأثرية لهذه المعلمة الزيانية، ويرصد أهم التغيرت التي عرفتها أدوارها تماشيًا مع التحولات وضعية بلاد زيان. لقد كانت في البداية قلعة عسكرية لمحاصرة العدو، إلى قصبة مخزنية لمنع القبائل الجبلية من الزحف نحو السهول، إلى قصبة قائدية توفرت فيها كل معالم رخاء القيادة، ثم حي عسكري استعماري لقمع من بناها بالأمس وصولاً إلى النسيان والتهميش الذي طواها بعد استقلال البلاد. وغايتنا من ذلك تنبيه المسؤولين إلى ضرورة تثمينها لتمارس الأدوار التي تتناسب ومكانتها التاريخية كتراث وطني.

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ٢١ يناير ٢٠٢١
تـاريخ قبــول النشــر: ١٩ فبراير ٢٠٢١

كلمات مفتاحية:

قصبة؛ موحى اوحمو الزياني؛ معمار؛ تراث؛ المغرب

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.21608/KAN.2021.218681

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

جواد التباعي. "قصبة موحى اوحمو الزياني: التاريخ، المعمار، وسبل التثمين".- دورية كان التاريخية.- السنة الرابعة عشرة- العدد الحادي والخمسون؛ مارس ٢٠٢١. ص ٢٣ – ٣٠.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: tabbaijaouad@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

Open Access This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشرت هذه الدراسة في دَّورية كَان التَّاريْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

تُعَدّ قصبة موحى اوحمو الزياني (١٢٧٣ـ ١٣٣٩هـ/ ١٨٥٧ـ ١٩٢١م) بمدينة خنيفرة المغربية واحدة من عشرات القصبات المرابطية التي تمكنت من الصمود في وجه عاديات الزمن وتدمير الانسان. وشاءت الأقدار أن تحظى باهتمام السلطان العلوي المولى إسماعيل الذي أعاد لها ولو مؤقتا جزءً من أهميتها. وكان حب موحى اوحمو الزياني للمدينة ورغبته في جعلها عاصمة لقيادته سببًا آخر في استمراها معلمة تاريخية منسية اليوم تستوجب التثمين. لقد كانت وراء هذا المقال دواعٍ متعددة أبرزها الرغبة في التعريف بالتراث المعماري لبلاد زيان القصية تنمويا. وتنبيه الفاعلين لأهمية التراث المعماري المحلي في إخراج المنطقة مما تعانيه من تهميش. فجاء هذا المقال كلبنة أولى ـ في غياب دراسات متخصصة في الموضوع ـ في مشروع كبير يهدف إلى تعريف شامل بالتراث الثقافي ببلاد زيان من خلال تقديم نبذة تاريخية عن هذه المعلمة، والتعريف بخصوصياتها المعمارية للمساعدة في أي ترميم محتمل للقصبة يعيد للقصبة وعبرها المدينة والمنطقة شيئا من مجدها الغابر.

أولاً: موقع وأهمية قصبة موحى وحمو الزياني، ونبذة عن حياته ومقاومته

١/١-موقع قصبة الزياني وأهميتها التاريخية

شيدت قصبة موحى اوحمو في موقع استراتيجي فوق مرتفع صخري على الضفة اليسرى لنهر مُ رْبِيعْ وسط مدينة خنيفرة، يتبع تصميمها انحراف أرضيتها الوعرة. ويواجه الباحث في تاريخها شح المادة المصدرية المتعلقة بتاريخ تأسيسها الفعلي، وشكلها الهندسي، ومكونات بنائها، لكن الراجح أنها واحدة من القصبات التي شيدت في عهد يوسف بن تاشفين زمن تأسيس أَدْخْسَانْ ولنفس الأهداف (حصار مدينة فازاز)، ودليلنا الأول في ذلك عادة المرابطين في تشييد قلاع عسكرية دفاعية، وبعثهم لجواسيس من مناطق قريبة لاستطلاع أخبار العدو[١]، ودليلنا الثاني الإهمال الذي طالها بعد سقوط فازاز إلى أن خَرِبَ معظمها لأنها فقدت الوظيفة التي شيدت من أجلها.

جددت القصبة في عهد المولى إسماعيل في نفس سنة بناء قصبتي أَدْخْسَانْ ومنت (١٦٨٨م)، لتأمين الربط بين أهم المحاور الطرقية للقوافل التجارية خلال تلك الحقبة بالنظر لموقها الاستراتيجي في الربط بين العاصمة مكناس، ومراكش الحاضرة والسوق التجارية المزدهرة[٢]، كما اضطلعت بمهمة تأمين القوافل التجارية.

سيطر حمو نعقى على القصبة منتصف القرن التاسع عشر، وأجرى عليها بعض الترميمات البسيطة لأنها كانت تجاور قنطرة لعبور للمنتجعين مقابل رسوم. وبعد تولي موحى وحمو الزياني زعامة زيان رمم القصبة بسواعد القبائل عن طريق نظام "السخرة" بدعم من الجنود الذين أمده بهم الحسن الأول[٣]، حتى عرفت بين زيان ب "تَحسْنَاوِيتْ"[٤]، قدمها سنة ١٨٨٦م هدية لزوجته زينب الفاسية[٥] فعرفت ب" قصبة الفاسية" التي قطنت بها ستة أشهر[٦] لتأوي فيما بعد شناگْطة وكل حريم القائد مع أبنائهن[٧] وثروته. كانت تعقد بها الاجتماعات، وتبرم الاتفاقيات، وتتوثق الصداقات، ويستقبل بها الزياني الضيوف والأتباع الذين كان عددهم يزداد باستمرار[٨]. بعد معركة لهري نصب المستعمر مدافعه على القصبة، وشرع في قصف من بناها بالأمس، فما كان الحدث ليفوت أحد شعراء المنطقة الذي وثق الحدث شعرا بقوله:

أَوَا وُثِيطْ أَيَاكَادِيرْ نَّاكْ أَرنَاكّ رِيَالْ
إِضْرِبنِي أَيُهَا الْجِدَارُ الَّذِي دَفَعَتْ فِيهِ رِيَالًا
مْشِي يُوشَا رِبِّيْ كَ رُومِي أَكْنهذم أَكَّانْ لوتَا نْكْ
إِنْ مَكْنَيَّ رَبُ الرُّومِيِّ فَهَدْمِكَ سَيَكُونُ الْجَزَاءْ [٩]

استخدمت القصبة بعد مرحلة التهدئة كحي عسكري، ثم مخبأً للمقاومين خلال مرحلة جيش التحرير قبل أن يتحول الجزء الكبر منها إلى مساكن ومحلات تجارية مكاتب إدارية، حيث لم يبقى من شواهدها التاريخية إلا جزء من الجهة الجنوبية بأبراجها الثلاثة. فمن يكون موحى اوحمو الزياني الذي تنتسب له القصبة؟

٢/١-نبذة مختصرة عن موحى اوحمو الزياني وأهم محطات مقاومته للمستعمر

موحى اوحمو الزياني هو محمد بن حمو بن عقى بن أحمد المدعو أمحزون بن موسى بن سعيد بن عبد الرحمن بن موسى بن لحسن بن سعيد ويشو بن عبد الرحمن بن موسى بن محمد بن يعقوب[١٠]. ولد حوالي ١٨٥٧م بمضارب قبيلة آيت حركات الزيانية حول البرج. واختلفت الكتابات في اسمه فقد عرف في المراسلات المخزنية باسمه الحقيقي محمد بن حمُ(و)، ولقبه أبناؤه وأسرته بموحى ونقله عنهم الفرنسيون. تميز الرجل بكونه أبيض مشرب بحمرة، نقي الشيب، كريم المائدة، يتكلم العربية جيدا، يخدمه حوالي المئة من الشناگْطيَّة (*chnagtia*)[١١] بالإضافة إلى أبنائه الستة عشر وأشقائه[١٢]. لا أحد من الأوربيين أمكنه الاقتراب منه[١٣] أو تصويره، وهوما يفسر غياب صورة له[١٤]. يقضي معظم نهاره في الاجتماعات أو متدربا على ركوب

الخيل[١٥] حتى صار فارسًا مقدامًا، وراميا بلا خطأ وهو في سن العشرين[١٦]. كانت له ولذويه أجود الخيول، وأحدث الأسلحة وأجمل النساء، وأمهر كلاب الصيد، وكانت الخيام لا تتنقل إلا بأمر منه ولا تضرب إلافي الأماكن التي يحددها بنفسه[١٧]. وقد ذكرت بعض المصادر الفرنسية أنه كان ضعيف الإيمان حيث لم يُشاهد يومًا يدخل مسجدًا للعبادة لدرجة أن قاض نصحه بالتسبيح لله لتشمله بركته فأجاب: "لم تتعود سبابتي إلا الضغط على زناد بندقيتي، وتأبى حبات التسبيح"[١٨].

جرت العادة أن تختار القبائل أمغارا من زعمائها الدينيين كما هو الحال بالنسبة لسيدي علي أمهاوش عند إشقيرن، لكن قبائل زيان كسرت هذه القاعدة بتعيين موحى اوحمو الزياني أمغارا لها منذ ١٨٧٧م[١٩]، ثم عين سنة ١٨٨٦ قائدا عليهم، بعدما تمكن خلال ثماني سنوات من إخضاع كل القبائل المنافسة له داخل الاتحادية، فتفوق على خصمه محمد أقبلي الذي أصبح تحت إمرته قائدًا تحت إمرته على زيان الشمالية (آيت سكُّوكُو) ويدفع له الإتاوات حتى بعد معركة لهري[٢٠]، تم تفرغ بعدها للقضاء على مولاي عبد السلام الأمراني[٢١] الذي استقر بين مولاي بوعزة وولماس ورشقه برسائل حارقة[٢٢].

بعد توحيد فيدراليته شارك أول قادة زيان في الحركات المخزنية لتأديب آيت سُخمَانْ، فتوسع نفوذه ليشمل منطقة كبيرة من الأطلس المتوسط، امتدت من آيت يُوسِي شمالاً إلى آيت وُيرَّا جنوبا، ومن والماس غربا إلى أزرو ولقباب[٢٣] شرقًا، وكون جيشًا مدربًا على القتال والتحدي والصمود، لكن هناك إجماع ببلاد زيان أنه لم يلجئ للعنف إلا لإعطاء المثل ولجم الفتن الناشئة[٢٤]. جاء تعيين موحى وحمو الزياني قائدًا على قبائل زيان ضمن مشروع "الظاهرة القايدية" الذي عول عليه المخزن خلال القرن ١٩م، فكان واحدًا من القواد الثلاثة عشر المعينين بعقود مكتوبة في عهد السلطان الحسن الأول[٢٥] لضمان طاعة الاتحاديات الكبرى، وإضفاء شرعية مخزنية عليها بإدماج الأعيان المحليين في الحكم

يختلف محمد اوحمو عن معظم قواد المرحلة باختياره المقاومة بديلا عن موالاة سلطات الحماية، رغم الإغراءات بجعله جزءً من "الإدارة المخزنية"، فكانت أرض زيان بقيادته قاعدة للجهاد ضد المستعمر، وأسهم منذ ١٩٠٨م في الجهاد بالشاوية، وشارك في معركة تافودايت ببلاد زمور في أبريل ١٩١٢، وفي معركة أكَوراي ببلاد كَروان في ماي من نفس السنة، ومعركة الزحيليكَة بزعير في يونيو، ثم معركة وارغوس نواحي وادي زم سنة ١٩١٣م[٢٦]. وبعد احتلال خنيفرة شارك الزياني في معركة أقلاَّل في ٣٠ يونيو ١٩١٤، ثم معركة تكَط في ٧ يوليوز من نفس السنة، ثم معركة تازروت موحبو في ٢٠ غشت من السنة ذاتها، وتبقى أهم معركة خاضها موحى اوحمو الزياني هي معركة لهري في ١٣ نونبر ١٩١٤م التي أباد فيها الكثير من قوات الجيش الفرنسي.

سجل له التاريخ التحالف والتنسيق مع موحى اوسعيد الويراوي في مقاومة الأطلس المتوسط، ورفضه ربط الصلة مع الألمان والأتراك العثمانيين بعد الهري، حينما بعثوا رسلاً متخفين في زي تجار إلى محل إقامته آنداك ب بُوسَادر[٢٧]، حيث وجه خطابًا إلى الدولتين على يد العالم عبد الرحمان النتيفي قائلاً: "إننا لا نرضخ لعدو ديننا وعدو نبينا، ولا تتراءى معه أعيننا، فليطمئن خليفة الإسلام وقائد الألمان"[٢٨]، وواجه رسل الجنرالين Lyautey وHenrys الرد نفسه[٢٩]، فكان محمد اوحمو بشهادة الرائد كورني "الخصم اللدود الأكثر عنادًا"[٣٠] والذي كان مجرد اسمه يبعث على الرعب في النفوس لأنه الأكثر تنظيما، وحنكة في قيادة المعارك[٣١].

قتل سيد زيان المعاصرة في معركة أزلاغ نبوتزمورت[٣٢] بجبل "تَاوْجْكَالْتْ"[٣٣] يوم ١٧ رجب ١٣٣٩هـ/ ٢٧ مارس١٩٢١م، في معركة ضم جيش عدوه فيها أبنائه المنشقين[٣٤] بقيادة الجنرال بوميرو بعد ضمان دخول العديد من القبائل المساندة للزياني تحت نفوذه[٣٥]، فكانت تلك أول وأخر مرة يرى فيها المستعمر وجه قائد زيان دون أن يلتقط له أي صورة[٣٦]. يستند المنصوري إلى إصابته بطلق ناري في صدره للتأكيد على انه استشهد وهو مقبل لا مدبر[٣٧]، ويؤكد شيوخ المنطقة أن بندقيته لم تكن محشوة بالرصاص[٣٨] بسبب نفاذ ذخيرته أثناء المعركة. وتواترت حكايات تفيد إصابته بطلق ناري أسفل العين نزل منه خيط دم قبل أن يسقط أرضا، وأفتى بعض الفقهاء والشرفاء بدفنه بملابس القتال باعتباره مجاهدا وأطفئت نيران كل الخيام وهدم بعضها حزنا عليه.

شيع جنازة محمد اوحمو الأف المجاهدين والخاضعين إلى مقبرة أجداده بتملاكْت[٣٩] وتصالح في جنازته الأعداء والخصوم. ودفن في قبر مجهول ظل يحرسه السكان المحليون إلى أن شيد على قبره الضريح الحالي، وشهد له خصومه قبل أصدقائه بالشهامة ودماثة الأخلاق[٤٠] فقال عنه Peyronnet أنه: "سقط بجلال وعظمة وهو يقاتل [...] فرض احترامه وتقديره"[٤١]، ليصفو الجو للفرنسيين الذين استولوا على معظم زيان بعيد وفاته.

ثانيًا: خصوصيات قصبة موحى اوحمو الزياني وقيمتها المعمارية والفنية لقصبة موحى اوحمو وإمكانات مساهمتها في التنمية المحلية

٢/١-خصوصيات قصبة موحى اوحمو الزياني وقيمتها المعمارية والفنية

تتجلى خصوصيات القصبة الزيانية في:

- عدم قيامها بالدور العسكري في عهد موحى اوحمو رغم توفرها على كل مقوماته كالمداخل المنكسرة، والأبراج الخارجية المربعة المكونة من ثلاثة طوابق، وتجاوز ارتفاعها علو الأسوار لتسهيل مراقبة تحركات العدو حتى لا تطرق المدينة على حين غفلة. لكن قائد زيان أخلى القصبة والمدينة بكاملها قبيل دخول سلطات الحماية إليها، وفضل قتال العدو في الجوار المكشوف، وهو ما يرجح أن القصبة بنيت في عهد سابق للزياني الذي قام فقط بتجديدها.
- اتخذها الزياني مقرًا مؤقتًا لإقامته خلال فترات الاضطرابات الجوية وتساقط الثلوج، ليعود إلى محلته في الجبل بعيدًا عن الأسوار السميكة الجامدة، فلا يعود إليها إلا للمراقبة والتسلية، أو لإصدار الأحكام العرفية من شرفة مطلة على ساحة القنطرة بعدما تعرض عليه القضايا لتنفذ في الحال[٤٢].
- تميزت القصبة بطريقة بنائها الأصيلة، المعتمدة على المواد الأولية المحلية والمتأقلمة مع محيطها الطبيعي. وهي تجمع بين طرازين معماريين:

الطراز المعماري الصحراوي المستخدم في قصبات وادي درعة لتشابه واجهتها إلى حد بعيد مع قصبة تاوريرت ضواحي ورزازات.

طراز العمارة الأميرية بتافيلالت في الأبراج الخلفية والأبواب التي تشبه قصور الأمراء العلويين تافيلالت، خاصة البوابة الرئيسية لقصر أولاد عبد الحليم الريصاني[٤٣].

إنها شكل هندسي شبه صحراوي (تيغرمت) وقلعة حقيقية محصنة بجدران عالية لا تنفتح على الخارج إلا بكوات ضيقة للرمي[٤٤]. كانت وفق وصف *François Berger* نوعا من القصور المحصنة بأسوار جد سميكة من الطين الصلصالي الأحمر القاتم الجميل كتربة خنيفرة، قليلة الزخرفة تتخللها أحجار محلية وأجر محروق وفق معايير هندسية جد محددة تختصر مظاهر اندماج وتناسق القصبة مع محيطها المعماري والطبيعي من خلال طابقها الأرضي ذي العلو الكبير بفناءات داخلية بعضها مكشوف، وبعضها مزين برواق مغطى، ونافورة وقاعات واسعة تشرف على النهر والجبل بنوافذ مشبكة[٤٥]. يصفها بن داود في مذكراته بالقلعة الحقيقية القوية التي تحمل سمات قصبات العصور الوسطى من خلال أسوارها، وشرفات القلعة، والأبراج، وغرف الحراسة، والنوافذ[٤٦]. تكونت أبراجها المربعة الكبيرة من ثلاثة طوابق، يتم الولوج إلى الطابق الثالث منها من خلال مدخل صغير وسلالم لإطلاق النار. كما تمكن حراسها من مراقبة الوضع بأريحية، وتمنح لسكانه فرصة إلقاء نظرة شاملة على المنطقة.

كان يحيط بالقصبة سور مستطيل كبير يتكون من تسعة أبراج يتم الاتصال بينها عبر ممشى السور، وضمت مرافق أخرى كالمخازن والأهراء، والدار الكبيرة، وغرف إقامة الحرس...، ونرجح أن القصبة لم تضم مسجدًا جامعًا حفاظًا على دورها العسكري بدليل أداء الزياني وأقاربه للصلاة بالجامع الكبير على الضفة الأخرى للمدينة. كانت سقوف القصبة جميلة مزينة من الخارج بالقرميد الأخضر، ومصنوعة من الداخل بالأرز المحلي المزخرف بإمعان على يد صُنّاع استقدموا من مراكش. كما احتوت القصبة على عدد كبير من الغرف المزينة بفسيفساء ذات لون زجاجي، خاصة غرف الجهة اليمنى بمثابة قاعة جلسات يصدر محمد اوحمو أحكامه أوامره للمتقاضين من إحدى نوافذها[٤٧].

لم تكن قصبة الزياني عند تصنيفها تراثًا وطنيًا سنة ١٩٣٣م مستطيلة تمامًا على غرار القصبات الإسماعيلية أو قصبات الأعيان حيث تزيد عنها بمساحة مستطيلة بدون أبراج في الجهة الجنوبية. وضمت أسوارها الشرقية بابين جانبيين توسطهما برج أكبر من باقي أبراج القصبة. وتجد هذه الإضافات تفسيرها في انحراف أرضية الموقع، وكون الجهة الشرقية المصدر الرئيس للخطر القادم من مدينة فازاز خلال العصر المرابطي، ومن قبائل جبل زيان المتمردة منذ العهد الإسماعيلي وحتى حصول البلاد على الاستقلال سنة ١٩٥٦.

ضمت قصبة الزياني تحفًا عديدة أهمها ثلاث مدافع أهدتها الملكة إليزابيت للحسن الأول، وأهداها بدوره للزياني أثناء زيارته لفاس لكنها لم تستخدم لعدم معرفة الزياني وجيوشه بطريقة استخدامها. وتحولت القصبة ردحا من الزمن إلى متحف يزوره الجبليون لرؤية هذه المدافع.

سلم أبناء الزياني القصبة وما استولوا عليه في لهري إلى السلطات الفرنسية سنة ١٩٢٠م بعدما أصبحوا في صفوفها[٤٨]، فرممها المعمرون وأعادوها لأبناء القائد المنضمين إليهم[٤٩].

تظهر أسوار القصبة في فيلم وثائقي سنة١٩٤٨م ملاصقة للأبراج بسمك لا يقل عن المتر[٥٠]، لكنها بدأت تنهار تدريجيًا بعد ذلك نتيجة تعرضها للإهمال، فلم يبقى من معالمها اليوم سوى ثلاثة أبراج متصدعة في الضلع الجنوبي لسورها، وجزء من الجدارين الشرقي والغربي الملاصقين للأبراج بشرفات مسننة.

٢/٢-الوضعية الحالية لقصبة موحى اوحمو وإمكانيات مساهمتها في التنمية المحلية

تعتبر قصبة موحى اوحمو الزّياني أوّل أثر تاريخي مصنف كإرث وطني بزيان، وذلك بمقتضى ظهير ٢٠ فبراير١٩٣٤ الذي نص على تسجيل الأسوار والأبواب والزوايا المحصنة للقصبة في عداد الأبنية التاريخية[٥١]. وبعد الاستقلال تفاقم وضعها بسبب الإهمال التام وعوادي الزمن، والتوسع العمراني بمحيطها، وهكذا تهاوت معظم أركانها، واستغل جزء مهم منها في بناء منازل حديثة، رغم أن الظهير الذي صنفت بموجبه القصبة يشدد على أهمية الحفاظ على هذا الموقع.

لم يصمد منها إلا جزء من الجدارين الشرقي والجنوبي، وبرج رئيس انهار ما يقرب من نصفه، بينما تعاني الأبراج الأخرى من شقوق عميقة. نميز وسط بقايا بناياتها المهدمة زخارف وزليج بديع، وسقوف من خشب الأرز المحلي المنقوش والمصبوغ، ونوافذه تشهد على روعة إبداع صناعها وبراعتهم. ولأنها تراث معماري وطني فريد على أرض زيان ورمز لذاكرتهم الجماعية، ومن أجل صيانة هذا الموروث الثقافي تبذل جهود كبيرة لتثمينه أبرزها:

- استعداد وزارة الثقافة لإنجاز دراسات هندسية، ومواكبة تقنية من أجل الحفاظ على ما تبقى من هذا الصرح التاريخي، وجعله في قلب مشروع تنموي شامل.
- استعانة مفتشية المباني التاريخية بمركز الدراسات والبحوث العلوية في إعداد دراسات للترميم[٥٢] وإيجاد حلول لوقف الزحف العمراني على ما تبقى من القصبة، وإعادة بناء الأجزاء المنهارة على المدى المتوسط. مع الحرص على تنفيذ مشروع إعادة التأهيل والتنمية من خلال تحويلها إلى فضاء ترفيهي وثقافي وفني، خاصةً وأنها تتوفر على كل المواصفات الضرورية لذلك. وتكلفة مشروع الترميم ما تزال ضئيلة بالمقارنة مع المكاسب الممكنة من تثمينها[٥٣].
- إيقاف بلدية خنيفرة لمختلف أشكال البناء بمحيط القصبة وزودت جوانبها بالإنارة وكاميرات مراقبة للحد مختلف أشكال الاعتداء عليها. ومن أجل جعلها في قلب مشروع تنموي شامل للمدينة يتوجب:
- تدعيم الأسوار كضرورة استعجالية تم ترميم ما تبقى منها وفق شروط الترميم المتعارف عليها.
- تهيئ حدائق وممرات بجانب القصبة وعلى طول أسوارها، ومنع البناء الإسمنتي في محيطها.
- تسليط الإنارة الفنية ليلاً على أبراج وأسوار هذه المعلمة وتوفير مكان ملائم لاستضافة أنشطة التثمين والتعريف بها عن قرب[٥٤].

بالإضافة إلى القصبتين الشهيرتين توجد العشرات من القصبات الصغيرة التي شيدها أبناء ومعارف القائد الزياني على الضفة اليمنى على لنهر مُ رْبيعْ، وبجنْ المّاسْ، وأرُوكُو، ومَنْتْ، والكُعِيدَة، أبرزها قصبات الباشا حسن ابن موحى وحمو الزياني بجبل أقلال[٥٥] بل وعاينا قصبات لقادة زيان وبنفس المواصفات بين أزمور والجديدة بدكالة. نستنتج أن القصبات ومن ضمنها قصبات زيان صنف معماري مغربي أصيل، إلا أن نصفها تقريبا مهدد بالانهيار، بينما١٠٧% فقط في حالة جيدة لأنها تحظى باهتمام الدولة والمستثمرين الخواص[٥٦].

خَاتِمَةٌ

نخلص بناءً على ما سبق إلى أن قصبة موحى اوحمو الزياني لم تحمل اسم هذا الزعيم الزياني عبثًا، لأنه كان وراء تجميلها وجعلها قاعدة لحكم منطقة شاسعة وسط المغرب. تفردت بخصائص معمارية كثيرة جمعت فيها بين التصميم العسكري والوظيفة السكنية، بل أصبحت متحفًا يزوره الجليون خلال فترة من تاريخها. وخضعت خلال العهد الاستعماري لتعديلات تتلاءم ووظيفتها كثكنة عسكرية. هذه المميزات جعلتها تصنف تراثًا وطنيًا سنة ١٩٣٣م فأصبحت بذلك رمزًا للذاكرة الجماعية لزيان وللمغرب. لكن حالها اليوم لا يسر الجميع مما يستوجب صيانة هذا الموروث الثقافي.

وعمومًا فقصبة موحى اوحمو الزياني واحدة من قصبات عديدة بزيان شيدت من التراب الأحمر والرمل الأبيض الموجودين بكثرة في المجال والمتميزين بالصلابة والقدرة على مواجهة عاديات الزمن، واختلفت مكانتهما باختلاف وظائفها. بعضها ما زال قائمًا يصارع عوادي الزمان والإهمال والتهميش، والبعض الآخر اندثر ولم يعدّ لها إلا قليل الأثر[٥٧]، مما يستوجب تكثيف الجهود المحلية والجهوية والوطنية للرفع من نسبة القصبات المصنفة خاصةً مع خلق "الشركة الوطنية لتثمين

القصبات لترميم وإعادة تأهيل القصبات" في أفق إدماجها في التنمية المستدامة[٥٨] قبل أن يندثر ما تبقى منها، وهو ما تشتغل عليه الجماعة الحضرية والمجلس الإقليمي بخنيفرة خلال الأشهر المقبلة بعد مصادقة مجلسها على مشروع ترميم القصبة في فبراير ٢٠١٩م، إلى جانب محاولات الجمعيات والمثقفين للتعريف بهذه المعالم وتثمينها.

جانب من الواجهة الشرقية للقصبة

جانب من أبراج الجهة الجنوبية للقصبة

الصورة (١)

صورة تركيبية حديثة لقصبة موحا اوحمو الزياني[٥٩]

الملاحق

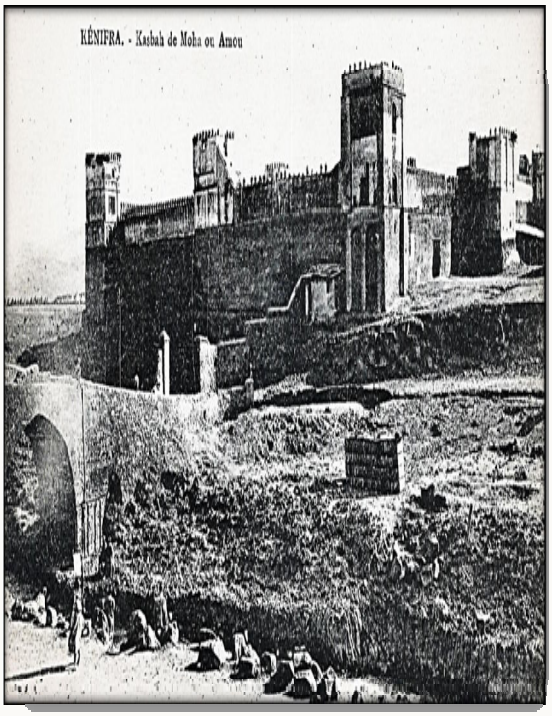

الصورة (١)

صورة لقصبة موحى وحمو الزياني عند تصنيفها سنة ١٩٣٣

من أرشيف المكتبة الوطنية

٢٠١٦/٠٣/٢٣

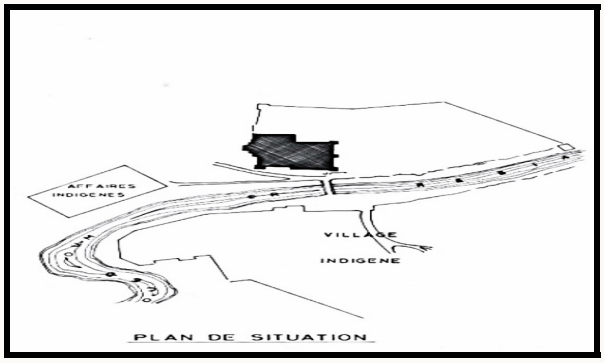

تصميم (٢)

تصميم ترتيب قصبة موحى اوحمو الزياني (١٩٣٣)

الاحالات المرجعية:

(١) المريني عبد الحق، **الجيش المغربي عبر التاريخ**، مطبعة المعارف الجديدة، ط٥، الرباط، ١٩٩٧، ص٢٦؛ عثمان عثمان إسماعيل، **تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى**، الهلال العربي للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٢ـ ١٩٩٣، ج٢، ص ١١٥ـ ١٢٣

(2) Inspection Des Monuments Historiques Et Sites Meknès Tafilalet, «**Rapport D'enquête: Kasbah De Moha Ou Hammou Zayani A Khénifra**», 30 Mars 2010.P.3.

(٣) المنصوري أحمد، **كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر**، تحقيق وتقديم محمد بلحسن منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة الكرامة الرباط، ط١، ٢٠٠٤، ص١٣٥

(٤) **تحسناويت:** معناها القصبة الحسنية نسبة إلى الحسن الأول وفق مجموعة من الروايات الشفوية المتواترة.

(٥) بيرجي فرانسوا، **موحا اوحمو الزياني (١٨٧٧ ١٩٢١)**، ترجمة محمد بوستة، مطبعة أنفو برانت، فاس، ط١، ١٩٩٩ ص ٢٠، رمم محمد اوحمو الزياني القصبة في محاولة لتوفير سكن لزوجته الفاسية لا يختلف كثيرا عن قصور فاس.

(٦) بيرجي فرانسوا، م. س، ص ٥٢ـ ٥٣.

(٧) أمحزون محمد، **"لمحات من سيرة القائد المجاهد أمحزون محمد أوحمو الزياني"**، جمعية أمحزون محمد أوحمو الزياني بخنيفرة، ندوة سيرة القائد المجاهد أمحزون محمد أوحمو الزياني القاعة الكبرى، خنيفرة ،١١ دجنبر ٢٠١١. غير منشورة.

(٨) نفس المحاضر ونفس الندوة

(٩) وعتيق أحمد، **من شعر المقاومة في الأطلس المتوسط**، ندوة المقاومة المسلحة والحركة الوطنية بالأطلس المتوسط (١٩٠٧ـ ١٩٥٦)، منشورات المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة بني يزناسن، سلا،٢٠٠١، ص٢١٥.

(١٠) أمحزون محمد، **"لمحات من سيرة القائد..."**، محاضرة سابقة.

(١١) المنصوري أحمد، **كباء العنبر...**، م. س، ص ٢٩٩

(١٢) العلمي محمد، **حركة المقاومة بالأطلس**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط٢، ٢٠١٣، ص٥٥

ـ بيرجي فرانسوا، م. س، ص ٥٠، بينما يتحدث كيوم عن ١٤ ابنا فقط (كيوم أوغسطين، **البربر المغاربة وتهدئة الأطلس المركزي (١٩١٢ـ١٩٣٣)**، ترجمة وتقديم محمد العروصي، بني ملال (دون ناشر)، ٢٠١٦، ص١٥٢)

(13) Ben Daoud, **«Notes Sur Le Pays Zayan»,** Archives Berbères, Vol 2, Fasc3, 1917, P 284

(١٤) باستثناء رسم تقريبي اعتمادا على الأوصاف التي سجلها مقربون منه، وتبقى كل الصور المتداولة حتى في بعض كبريات المعاهد والمتاحف بالمغرب وخارجه صورا لأحد ابنيه حسن أو أمهروق (الصور)

(١٥) المنصوري أحمد، **كباء العنبر ...**، م. س، ص٢٩٩.

(١٦) بيرجي فرانسوا، م. س، ص ١٣ـ ١٤

(١٧) كنون سعيد، **الجبل الأمازيغي آيت أومالو وبلاد زايان المجال والإنسان والتاريخ**، تعريب الدكتور محمد بوكبوط، إصدار مصلحة الشؤون الأهلية بالمغرب، عن منشورات لجنة إفريقيا الفرنسية، باريس، ١٩٢٩، منشورات الزمن، مطبعة بني يزناسن، سلا، سلسلة ضفاف، ع ١٨، يوليوز ٢٠١٤، ص ١٠٨

(١٨) أسبينيون روبير، **أعراف قبائل زيان**، ترجمة محمد أوراغ، تنسيق أحمد شعبهي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة: ترجمة رقم ١١، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ٢٠٠٧، ص١٠.

(١٩) بلحسن محمد، **موحا وحمو الزياني**، موسوعة الحركة الوطنية وجيش التحرير بالمغرب، منشورات المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة عكاظ، ٢٠٠٨، ج٢، ص٣٨٦.

(٢٠) كيوم أوغسطين، م س، ١٦٦

(٢١) **عبد السلام الأمراني:** (١٢٥٠ـ١٣٢٧هـ/ ١٨٣٤ـ ١٩٠٩م) أحد أصهار الملوك العلويين وأبرز شرفاء الامرانيين العلويين بمكناس وفاس الذين حظوا بتوقر واحترام المخزن. أصله من زاوية الافراني بسجلماسة، استقر في البداية بالزاوية الأمرانية (زاوية إفران) على بعد حوالي ٢٠ كلم من مركز الحمّامْ، ثم بمحل "الغزاز" قرب أكوراي قبل أن يصل إلى أمسرسر ببلاد زيان، انضمت له بعض قبائل كروان، وبني مْكِيلْ، وفروع من آيت عْمَر، وآيت معي، وآيت سكَوكَو، وآيت رحو، وآيت بوخيو. دخل حروبا كلامية وعسكرية مع موحى وحمو انتهت بمقتل الأول سنة ١٣٠١هـ/١٨٨٤م (المنصوري أحمد، **كباء العنبر...**، م. س، ص١٤٥ـ ١٤٦.

(٢٢) لم يتوانى **الأمراني** عن مراسلة الزياني باستمرار لتنبيهه ومن بين رسائله الحارقة إليه: " إلى خديم حاجته، وأسير شهوته، من ليس له في البسيطة ود من قاص داني، محمد بن حم الزياني،[...] وبعد فقد ملأ الأدهان، بعد ما طرق الأذهان، بعد ما طرق الآذان، أنك عزمت على شق العصا فويلك ثم يا ويل من حواليك إن بلغ ما نقل عنك هنالك أما علمت أن هفوة العامة كغصة الطعام وهفوة الخاصة كغصة الماء لا دواء لها ولعمري لقد تصديت لمقتك، وسعيت بظلفك لحتفك، وأيم الله لقد زلت أقدامك، وطاشت سهامك" للمزيد (ابن زيدان، **الإتحاف...**، م. س، ج ٥، ص ص ٤٣٨ـ ٤٤٦).

(٢٣) بلحسن محمد، **"موحا وحمو الزياني"**، موسوعة الحركة الوطنية...م. س، ج ٢، ص٣٨٨.

(٢٤) كنون سعيد، م. س، ص108.

(٢٥) بورقية رحمة، **السلطة والدولة والمجتمع دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩١، ص٢٧.

(٢٦) المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، **"إحياء الذكرى ٩٥ لاستشهاد البطل موحى وحمو الزياني صانع بطولات وأمجاد معركة لهري الخالدة لقبائل زيان والقبائل المجاورة بالأطلس المتوسط"**، نشرة التواصل، ع١٦٠، أبريل ٢٠١٦، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ص ـ ٤٨ و٥١

(٢٧) مكان إقامته بعد معركة لهري على بعد حوالي ٢ كلم من جن الماس.

(٢٨) أمحزون محمد، **"سيرة القائد..."**، م. س، ص ص ١٠ـ ١١

(٢٩) المرجع نفسه، ص ١١.

(٣٠) الرائد كورني، **رائحة البارود في طريق احتلال الجنوب المغربي مع طابور مانجان مشاهد من مقاومة الرحامنة وتادلا وزيان والقصيبة**، ترجمة محمد ناجي بنعمر، منشورات الزمن، مطبعة بني يزناسن، سلا، سلسلة ضفاف، ع ٢٣، ماي ٢٠١٧، ص ١٤٣.

(٣١) المصدر نفسه، ص١٤١.

(٣٢) كل المصادر التي أتيحت لنا فرصة الاطلاع عليها في هذه النقطة تسمي المنطقة "أزلاك نتزمورت" لكن تعميق البحث بالمنطقة والتواصل مع السكان المحليين أكد لنا أنهت كانت ولاتزال تعرف " أزلاك نبوتزمورت"

(٣٣) **تاوجكالت:** صيغة تأنيث لكلمة أوجكال، وتعني مخزن جماعي يشبه في كثير من مواصفاته مؤسسة "أكادير" بسوس

(٣٤) كنون سعيد، م. س، ص١١٠

(٣٥) كيوم ليون أوغسطين، م. س، ص ١١٣

(٣٦) موس حسناوي، "**المقاومة المسلحة بالأطلس المتوسط**"، مجلة وجهات نظر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ع ٥٩، شتاء ٢٠١٤، ص٤٣، تروج على العديد من المجلات والكتب صور يقال إنها للزياني، لكن الأرشيف الفرنسي يؤكد ألا أحد تمكن من التقاط صورة لهذا القائد.

(٣٧) المنصوري أحمد، **كباء العنبر...**، م. س، ص ٢٩٧

(٣٨) العلمي محمد، م. س، ص ٦٣

(٣٩) المنصوري أحمد، **كباء العنبر...**، م. س، ص ٢٩٧

(٤٠) المعزوزي محمد، هاشم بن الحسن العابدي العلوي، **الكفاح المغربي المسلح في حلقات من ١٩٠٠ إلى ١٩٣٥، مطبعة الأنباء**، الرباط، ١٩٨٧، ص ٤٦ـ ٤٧، في هذا الصدد يؤكد السكان المحليون أن الزياني دفن في قبر عادي بمقبرة سيدي اوبلقاسم، وراقبه آيت بوهو القبر بإشراف شخص يدعى مهدي نعلي وحينما أراد الرحيل وضع ١٢ حصاة في أحد أركان القبر بطريقة خفية، ثم شاع أن النصارى هربوا الرفات، قعاد صاحبنا إلى القبر ليتأكد من بقاء الحصيات التي وضعها على القبر فوجدها لازالت في مكانها. (مقابلة مع **إبراهيم سواقي** (٦٠ سنة) شيخ إداري لقبائل آيت بوهو، آيت معي، وآيت خويا، بضريح موحى اوحمو الزياني بتاريخ ٢٠١٨/ ٠٨/ ٢٨.

(41) Peyronnet. R, Peyronnet. R, **Tadla Pays Zayan E Moyen Atlas** ,Imprimerie Algérienne, 1923, P12.

(٤٢) بيرجي فرانسوا، م. س، ص ٣٨ـ ٤٠.

(43) Inspection Des Monuments Historiques Et Sites Meknès Tafilalet, «Rapport D'enquête: Kasbah De Moha Ou Hammou Zayani A Khénifra», 30 Mars 2010.-, P5-6.

(٤٤) كيوم أوغسطين ليون، م. س، ص٥١.

(٤٥) بيرجي فرانسوا، م. س، ص ٥٣.

(46) Ben Daoud, Op, Cit, P282.

(٤٧) كنون سعيد، م. س، ص ١٠٩.

(٤٨) العلمي محمد، م. س، ص ٦٢.

(٤٩) بيرجي فرانسوا، م. س، ص ٥٣.

(50) Centre Cinématographique Marocain, **Tapis Parterres Du Maroc** (Film Documentai re), 01 Janv. 1948, Sur Ina. Fr.

(٥١) الدولة المغربية الشريفة المحمدية، الجريدة الرسمية، **قرار وزاري لإجراء بحث قصد التقييد**، ع ١٠٨٥ بتاريخ ١١ غشت ١٩٣٣، بتاريخ ٠٤ ربيع الثاني ١٣٥٢الموافق ٢٨ يوليوز١٩٣٣، الدولة المغربية الشريفة المحمدية، الجريدة الرسمية، **ظهير شريف صادر في ٢٠ فبراير ١٩٣٤**، ع ١١١٤، ٠٢ مارس ١٩٣٤، ص٢٧١.

(٥٢) يُعرف اختصارًا بـ (Cera) تأسس سنة ١٩٩٠ بمدينة الريصاني، ويُعَدّ مركزًا وطنيًا يُعنى بدراسة تراث تافيلالت وتاريخ المغرب في عهد العلويين.

(53) Inspection Des Monuments Historiques Et Sites Meknès Tafilalet, Op Cit P17

(٥٤) الرازقي محمد حافظ، "**نظريات حول عملية الترميم والمحافظة على المعالم التاريخية أسوار تطوان وشفشاون نموذجًا**"، ندوة أسوار المدن العتيقة، منشورات وزارة الشؤون الثقافية ١٩٨٩، ص١٢٥ـ ١٢٦ .

(55) Pilant Lieutenant, Op, Cit , P95 .

(٥٦) القاضي محمد، "**القلاع والقصبات في المغرب**"، مجلة الثقافة الشعبية، منشورات الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث، مطبعة أوال، البحرين، ع ٤٠، شتاء ٢٠١٨، ص ١٨٢.

(٥٧) المقال نفسه، ص١٨٠.

(٥٨) شهير وسام، **"تثمين قصبة سلوان ورهانات التنمية"**، ندوة قصبة سلوان التاريخ والحضارة، منشورات المجلس العلمي للناضور، مطبعة شركة الواحة، الناظور، ط١، ٢٠١٧، ص ٢٣٠.

(٥٩) وثائق المديرية الجهوية للتراث الثقافي لجهة بني ملال خنيفرة، ٢٠١٩.